محمد بصير

تبرد استمرار احتلالهم لهاتين المدينتين ، ولكن الغريب ان السلطات المغربية تتجاهل هذا الموضوع بينما تصر على استعادة « الصحراء المغربية» الى الوطن الام !

لماذا تتم المطالبة بمنطقة دون اخرى ؟ اليست المنطقتان مغربيتين كما تدعي السلطات المغربية ؟

لا شك ان الوحدة كانت ولما تزل مطلبا جماهيريا في مشرقنا ومغربنا العربيين ، فوحدة المغرب العربي الكبير كانت املا جماهيريا ظل حيا في قلوب المغاربة ، ففي المظاهرات التي جرت اثناء تشييع علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال المغربي وقائد جيش التحرير (اثناء حرب المقاومة ضد فرنسا) كانت حناجر الجماهير تهتف : الصحراء مغربية ، سبتة ومليلية!

لقد عبرت تلك التظاهرات بصدق عن احاسيس الجماهير تجاه اراضي الوطن المحتلة وجعلت من قضية تحرير منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب قضية واحدة مع تحرير مدينتي سبتة ومليلية ، وهي بذلك كانت ترد على موقف النظام نفسه! ولعل هذه المظاهرات وتحرك المعارضة الوطنية باتجاه المطالبة بتحرير الاراضي المغربية المحتلة هو الذي دفع الملك الحسن الثاني تحت ضغط الاحداث الى المطالبة بارجاع منطقة «الصحراء المغربية» الى الوطن . لقد وجد الحسن ايضا فرصة ثمينة في تحقيق ثلاثة اهداف هي :

١ ــ استيعاب النقمة الشعبية ضد نظام حكمه ، واستمالة بعض القوى السياسية « الاصلاحية » الى جانب القصر وبالتالي شق الحركة الوطنية وتصفية تيارها الثوري .

٢ ــ البروز كقائد وطني يعيد لعرشه هيبته بعد محاولتي الانقلاب الفاشلتين ضده عام ١٩٧١ ــ ١٩٧٢ ومن ثم تعزيز مكانته عربيا حيث مهد لذلك في مؤتمر قمة الرباط الاخير .

٣ ــ الاستفادة من ثروة منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب الى المغرب بالاشتراك مع المصالح الاقتصادية الغربية والاسبانية بالذات !.

وهكذا تسارعت الاحداث، فاعلن الحسن الثاني في اواخر عام ١٩٧٤ ان نهاية هذا العام ستشهد حسم موضوع تحرير الصحراء المغربية المحتلة، لكن انقضت شهور دون ان يحسم « الحسن » موضوع تحرير الصحراء ، ولعل هذا « الحسم » شبيه بعام الحسم السادات سنة ١٩٧١ الغني عن التعريف . وعلى ما يبدو ان حكامنا باتوا يتعلمون من بعضهم فنون السياسة والاعيبها ! ولكن يجب عدم استباق الامور دون تحليلها ، فالادعاءات يجب ان تصمد امام التجربة العملية لتثبت صحتها !

لقد وجه الحسن الثاني في مؤتمره الصحفي يوم ١٧ ايلول ١٩٧٤ كلامه للاسبان قائلا : « اننا نعلم الموقع الستراتيجي لمدينة العيون والدينة فيلاسيسفيروس بالنسبة الى جزر الكناري ، ونعلم انكم تولون هذه الجزر اهمية بالغة من الناحية العسكرية ، نحن مستعدون اذا ارجعتم الى المغرب سيادته على التراب ان نضع رهن اشارتكم قواعد عسكرية لمدة تتفق عليها تجعلكم تطمئنون على جزر الكناري ...» واضاف الحسن الى تنازله السياسي عن السيادة الوطنية تنازلا اقتصاديا اخر حينما اضاف : «واذا كانت خيرات الصحراء ، سواء التي على الارض او التي في قاع البحار تهمكم كذلك ، فان المغرب على استعداد ليوقع معكم على اتفاق لاستخراجها وتسويقها ! » . وهكذا كشف الحسن بوضوح كل اوراقه واعلن ما معناه ان موضوع الصحراء بالنسبة اليه هو فقط انزال العلم الاسباني المرفوع على الابنية واستبداله بالعلم المغربي !..

هل سيقرر المغرب القتال ؟

كيف سيتم حسم موضوع الصحراء المحتلة ؟ هذا السؤال اجاب عليه مسؤولون مغاربة بقولهم « انه اذا استنفدت كل الامكانيات لحل المشكلة سياسيا فلن يكون امام المغرب الا الخيار العسكري ولا بد من فهم ما هو المقصود بالخيار العسكري ، انها الحرب النظامية في الجسان ، « مستعدون » لها تماما والمغرب كدولة منظمة يرفض تسليح عصابات مسلحة لاسترداد ارضه فالجيش المغربي هو جيش المغرب وهو الذي سيتدخل لاسترداد ارضه (النهار ١٩٧٤/٨/٢٦) .

ولكن ما هي حقيقة استعداد النظام المغربي ؟

ان بيتر فراينكل مراسل صحيفة « الفارديان » اللندنية الذي قام بزيارة المغرب في شهر نيسان المنصرم للاطلاع على الاستعدادات العسكرية هناك كتب تحت عنوان : « مستقبل ارض البدو » يقول :

« رغم ان الصراع بين المغرب واسبانيا حول ملكية الصحراء الغنية بالفوسفات وصل في الاونة الاخيرة الى حافة الحرب الا ان مركز « طه » الحدودي المعزول لا يزال يفتح للتبادل التجاري (السوق) ايام الاثنين والخميس كالمعتاد ، وليس ثمة دلائل عن وجود توتر عدا ازيز الطائرات الاسبانية القاذفة ــ المقاتلة فوق منطقة الحدود » . ثم يضيف مراسل الفارديان قائلا : « وما اعلنه الملك الحسن الثاني عن وجود تعبئة شاملة لم اجد له اي اثر في تلك المنطقة سوى مرور ثلاث شاحنات مغربية امامي، ومنطقة « طه » هي مركز حدودي ومحطة تسويق ولكنها ليست مركزا دائما ، اذ لا توجد فيها سوى بعض خيام البدو ودركي مغربي واحد يحرس الحدود ، وعلى بعد ميل واحد منه يقع مركز الحدود الاسباني !». وفي الحقيقة هنالك حشود عسكرية مغربية ولكنها ليست حشودا قتالية، فليست هنالك استعدادات للقتال والمجابهة ، بل ان مناطق الحدود كلها تعيش في وضع طبيعي .

اذن قضية « التحرير » كما يفهمها نظام الحسن الثاني تعني بالنسبة اليه ، عدم تسليح الجماهير ، عدم تعبئة الجيش والاستعداد للحرب بل كذلك عدم الاعتراف بوجود مقاومة وطنية مسلحة ضد المستعمرين الاسبان. ولكن الامر لا يقتصر على ذلك ، بل يتعداه الى مواقف اخطر منها التنسيق بين السلطات المغربية والاسبانية لمقاومة تلك « العصابات المخربة » كما يسميها الطرفان ، اذ سبق للمغرب ان اعتقل في عام ١٩٧٣ ثلاثة من إلثوار دخلوا اراضيه وسلمهم مع اسلحتهم الى السلطات الاسبانية المحتلة !

اذن هل النظام المغربي متروك له الخيار ليقرر ما يشاء ومتى اراد اسبانيا ليتخلص من هذا « المازق » كحال بقية الحكام العرب الذين يقع الاحتلال على اراضي الدول التي يحكمونها ... ولكن « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن » كما يقول المثل الشعري ، فاتجاه الاوضاع الداخلية في المغرب هو الذي سيحدد او سيفرض على « الحسن » الموقف المطلوب ولربما سيحدد مصير العرش نفسه ، لان قضية الوطن المحتل من اخطر القضايا التي لا يمكن المساومة عليها باية حال من الاحوال وباي ثمن كان!

والموقف الموريتاني على حقيقته ايضا !

بعد ان شملت الحملة السياسية للمغرب كافة الدول العربية وعدد

كبير من دول العالم ، تحركت « النخوة » العربية لحكام موريتانيا الذين ادعوا بان « الصحراء » المتنازع عليها موريتانية ويجب ان تعود لاصحابها ! ولكنهم عادوا وادعوا بان جزءا من المنطقة عائد لموريتانيا واخر للمغرب وقسم للجزائر ! مستندين في ادعائهم هذا الى ان بعضا من القبائل التي تسكن المنطقة يعود اصلها من موريتانيا ، وان القسم الاكبر من حدوده يتاخم الصحراء،كما حاولت موريتانيا ان تبين وجود علاقة تاريخية بين الساقية وموريتانيا كجزء منها ! ولكن حجج موريتانيا ليست بقوة الحجج والادلة المغربية ، اضافة الى ان المغرب طالب بموريتانيا قبل وبعد استقلالها لكونها جزء من المغرب العربي الكبير !

وفي الحقيقة تاتي المطالبة الموريتانية المتاخرة « بصحرائها » ملقية شكوكا حول الهدف منها . اذ يبدو ان الاسبان هم وراء هذا الموقف املين تحويل هذا الصراع من قضية تحرير الى صراع دولتين عربيتين فيما بينهما وتشتيت اي جهد عربي موحد وبذلك تتفرغ اسبانيا لمشاريعها الخاصة بمستقبل المنطقة ، وقد ادى هذا الامر الى احتدام الخلافات بين موريتانيا والمغرب على الرغم من الوشائج العربية بينهما ، علما بان المطالبة المغربية بالمنطقة المحتلة تلقى تاييدا من اغلب الدول العربية . اما موريتانيا فهي الاخرى مدعومة من بلد عربي او اخر ! وعلى هذا الاساس لم تستطع جامعة الدول العربية تحديد موقف واضح ومحدد بالنسبة للمشكلة بسبب هذا « الخلاف » المصطنع الذي استفاد منه الاسبان كثيرا على الصعيدين العالمي والمحلي ، فدوليا قوي بسبب صراع الاطراف المقابلة مضعفا الجانب العربي منه ، ومحليا عملوا على اقناع القبائل بان الدولتين العربيتين تسعيان لاحتلال المنطقة واذلال اهلها ! وبالتالي على سكان المنطقة رفض اي من الدولتين وبالاخص المغرب !!

اما عمليا فالموقف الموريتاني يتشابه والموقف المغربي ، ان لم يكن اكثر اذلالا امام الاسبان ، فلا تحركات ولا حشود عسكرية بل حتى اجهزة الاعلام تتجاهل كليا اي حديث عن تحرير المنطقة وانما تكتفي بتكرار المطالبة بها فقط لانها ليست للمغرب وحده !!

العلاقات العربية ــ الاسبانية والموقف تجاه الاحتلال الاسباني

لقد فرضت الثورة الجزائرية موقفها على العديد من الانظمة العربية في الخمسينات بحيث اضطرت كثيرات من الدول الى قطع علاقاتها مع فرنسا وساعدها في ذلك المد الذي كانت تعيشه حركة التحرر الوطني العربية وضغوط النضالات الجماهيرية انذاك في انحاء الوطن العربي ، ولكن حال اليوم لا ينطبق عليه حال الامس بحيث امست تتغاضى عن اراضيها المحتلة ، واكثر من ذلك سعيها لقمع الثورة في هذه المنطقة او تلك ، فهذا مثال عمان حيث يتم ارسال الجيوش العربية بالتعاون مع القراة الايرانيين لتصفية الثورة هناك ، وذاك مثال الساقية الحمراء ووادي الذهب بالتعاون مع المحتلين الاسبان ، يضاف لكل ذلك حالة « الجزر » التي تعانيها حركة التحرر العربية ذاتيا وموضوعيا بقابله انتعاش هذه الانظمة ! وهذا ادى الى حصر هذه الثورة او تلك مما عرقل امتدادها لمناطق اخرى .

فلو تفحصنا تاريخ العلاقات العربية الاسبانية لوجدنا ان الدول العربية كافة ترتبط مع اسبانيا بعلاقات جيدة واتفاقات متعددة ، ابتداء من المغرب الذي وقع معها اتفاق « براخاص » الشهير عام ١٩٦٣ خلال اللقاء الذي تم بين الملك الحسن الثاني والجنرال فرانكو لحل المشاكل القائمة بين البلدين وتنظيم علاقات التعاون بينهما في المجالات المالية والاقتصادية والمساهمات الاسبانية في برامج المغرب الانمائية اللاتية والخماسية وفي المشاريع السياحية بل وحتى في مجالات الامن ! وبالنسبة لموريتانيا فهي الاخرى وقعت اتفاقا مع اسبانيا مشابها لاتفاق براخاص ! اذن كيف سيتم التحرير في ظل هذه العلاقات المتشابكة ؟

ولا بد من تسجيل ملاحظة حول الموقف الليبي القومي الشجاع اثناء زيارة رئيس الوزراء عبدالسلام جلود الى مدريد ومقابلته للجنرال فرانكو يوم ٧٤/٢/٢٥ وتاكيده على عروبة منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب مما اثار مشكلة دبلوماسية قوية ، وكذلك عندما قدم السفير الاسباني لدى ليبيا اوراق اعتماده للعقيد القذافي حيث صارحه الاخير بان لا وجود للصداقة الاسبانية العربية ما لم ترحل اسبانيا عن الصحراء !

اسبانيا تتحدى ... اسبانيا باقية !

الحرب الحرب على الافريقي !
الحرب الحرب على المغربي الكافر ــ ان شرف اسبانيا مهان !
فالحرب الحرب من اجل النصر او الموت !

هذه الاغنية شائعة بين المستوطنين الاسبان هذه الايام عمرها اربعة قرون ونصف ، كلماتها من رسالة كتبتها ملكة اسبانيا ايزابيلا الى جنودها الذاهبين لغزو شمالي افريقيا ومحاربة العرب في غرناطة ، حيث سقطت دولتهم على يدها !

فما دامت الصحراء اسبانية حسب الادعاء الاسباني ، فلا بد اذن من تثبيت هذه السيطرة عليها . فقد اصدر الحاكم الاسباني اوامره الى سكان المنطقة العرب بعدم الانتقال من قسم اداري الى اخر بدون تصريح من البوليس ! في الوقت الذي يسمح للاسبان بالانتقال لاية منطقة يشاؤون بحرية تامة . والمواطن العربي يعد مواطنا من الدرجة الرابعة في ارضه ، فالاسباني في الدرجة الادنى والاجنبي (من الدول الاخرى) في الدرجة الثانية ، ومن سكان لاس بالماس في الدرجة الثالثة (وهم الملونون من افريقيا) .

وهذا تماما كما كانت الحال تحدث في عدن ايام الاحتلال البريطاني فالانكليز هم مواطنون من الدرجة الاولى ثم الهنود من الدرجة الثانية والمواطنون اليمنيون بعدهم ! وواضح ان الهدف من هذه التقسيمات خلق حالة من العداء العنصري بين العرب والافريقيين بالذات لاستمالة قسم على اخر ! والعامل العربي لا يحق له المطالبة بتحسين ظروف عمله ، اذ يعني ذلك تمردا على القوانين واخلالا بالامن ومعناه تعرضه للطرد والتحقيق !

فمثلا ان شركة الفوسفات تقدم مساكن حديثة لاي اسباني ياتي للعمل في الساقية الحمراء ووادي الذهب وتخصص للاسبان طائرة خاصة تنقلهم من مناطق عملهم الى مناطقهم الاصلية بين فترة واخرى . اما دور العرب فهي عبارة عن صفيح وطين وخيام !

الاسباني يتقاضى ما معدله ٧٠ الف بسيطة (بيزته) سنويا بينما يتقاضى العربي ١٨ الف بسيطة !

ولا يحق للعرب ان يكونوا موظفين ، بل ان هذا العمل مقصور على فئة الدرجة الاولى ــ الاسبان ــ !

ولما كانت هذه المعاملة تجاه المواطنين الاصليين للبلد ، فانه لا بد ان تنعدم كل وسائل العناية الطبية او الاجتماعية ، ولكن في المدة الاخيرة افتتح مستشفى في مدينة العيون لمعالجة المستوطنين الاسبان ويتدرب فيه طلاب الطب الاسبانيون ، ويمكن ان يدخله بعض شيوخ القبائل او ابناؤهم الموالون لاسبانيا ، بينما تحرم اية منطقة اخرى من عيادة طبية بسيطة .

اما عن التعليم فهو شبه مفقود اذ ان المدارس المتواجدة لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة ، تدرس فيها كل المواد بالاسبانية فيما عدا القرآن الكريم بالنسبة للطلبة العرب لانهم يشكلون اغلبية الطلبة فيها فهو بالعربية ! والمواد التي تدرس ، وخاصة التاريخ فتهدف الى طمس عروبة هذه المنطقة كليا !

وواضح ان اسبانيا مستمرة في سياستها التي تعتبر المنطقة « صحراء اسبانية » غير آبهة بالموقف المغربي وهو كما عبر عنه مصدر حكومي اسباني قائلا :

« ان حكومة مدريد هي في موقع قوة لان الفوسفات في يدها وهي متضايقة من التعبئة في المغرب بل وفي تهديده بالحرب ، ولان اسبانيا ربطت مصالحها الاقتصادية ومن ثم السياسية بقوى اقتصادية اوروبية